«حكي زبالة: عن ترجمة النفايات»
كتابة لينا منذر، ترجمته عن الإنجليزية ناريمان يوسف وياسمين حاج

عندما نتحدث عن الترجمة في هذه الأيام من نهاية الزمان، غالبًا ما نضفي عليها صبغة من النبل والسموّ، كما لو كانت مهمة مقدّسة يقضي في سبيلها النسّاك حياتهم ساجدين أمام محراب اللغة. تنمحي الذات المترجِمة وتنبذ طمع الملكية المرتبط بالإبداع في سبيل هدفٍ جلل، هو هدفُ بناء الجسور بين شعوب وثقافات العالم.

وسيكون ذلك وصفًا دقيقًا بالطبع لو كنت تترجمين دون كيشوت مثلًا أو شعرًا يابانيًا من الحقبة الهيآنية أو رواية جديدة لإحدى نجمات أو نجوم الأدب الصاعدات في السنغال. إلا أن عددًا ضئيلًا من المترجمات والمترجمين يتمتّعنَ بالمهارة والحظ والاستقرار المالي اللازمين لتكريس وقتهن لمثل تلك المهام النبيلة، بينما يتكسّب أكثرنا لقمة العيش بقبول أي زبالة تعترض طريقنا المهني. وأقصد بالزبالة أيًا وكلًّا ممّا يلي: نصوصًا كوربوراتية، وبيانات لماركات تجارية، وتقاريرَ مؤسّسية وثينك-تانكيّة، ورسائل من مؤسّسات حكومية تردّ على شركات بترول أمريكية، ورسائل من مؤسّسات حكومية موجّهة إلى منظمات حقوقية، ونصوصًا "أدبية" خطّها طفلٌ معجزة يموّل الترجمة من رأسمال مكوَّن من ثروة موروثة وثقة غير مستحقّة، وأخيرًا وليس آخرًا، وهو أكثر أشكال الكتابة قبحًا وبشاعةً... النصوص الفنّية.

/ / /

لم يكن احتراف الترجمة أبدًا نيّةً مبيّتة عندي. كل ما في الأمر أنني ككاتبة كنت أحتاج إلى مصدر دخل يضمن لي سقفًا فوق رأسي، وكان عليه التلاؤم مع مجموعة محدودة جدًّا من مهاراتي المكتسبة. بعد محاولات مُقتَّرة في الاشتغال بالكتابة التجارية والتدريس، عثرتُ بالصدفة على العمل الحرّ في عالم الترجمة، واقتنعت لبعض الوقت أنني قد اكتشفت المعادلة السحرية ووجدت المهنة الجانبية الأمثل لكاتبة.

تبدو الفكرة عظيمة في طرحها: إمكانية العمل باستخدام الوسيط الأقرب إلى قلبك [وهو الكلمات]، وقتك ملكك تقسّمينه كيفما تشائين (الصباحات للكتابة ومهام

مفردات
Mophradat

الترجمة في ساعات العصر)، مشوار العمل يساوي مسافة انتقالك من السرير إلى المكتب، ولا حائل بينك وبين كل ما تشتهينه من استراحات القهوة والتسالي.

لكن اتضّح أن هذا الطرح يفتقر إلى الدقة (باستثناء ما يتعلّق بالاستراحات والنّقارش، والّتي تبيّن أنّها إحدى مخاطر المهنة أكثر من منافعها). فالمذلّة الصارخة في العمل الحُرّ تتمثّل في الآتي: وقتك ملكك نظريًا فقط، فمن الآن وصاعدًا ستصبح في الواقع كلّ دقيقة من وقتك مُلكَ العميل، صاحب المهمّة المستعجلة التي يُحتَّم ("ضروري ضروري") إتمامها في نطاقٍ زمنيّ قد يدفع «غوغل ترانسلايت» نفسه إلى البكاء. هذا العميل الذي لا ينسى أن يذكّرك أنّ مهاراتك اللغوية لا تميّزك في شيء عن غيرك في بيروت، مدينة التجارة والتجّار، وأنّ جحافلَ من البشر واقفة في الكواليس في انتظار إشارته للقيام بنفس العمل في وقتٍ أقل وبأجر أزهد. وهكذا تصبحين منهمكة في تلك الحسابات القاسية التي توازِن بين ميعاد التسليم ودرجة تعقيد النص و/أو كمّ البحث المطلوب للإلمام بمصطلحات الموضوع، في محاولةٍ لتقدير ما إذا كانت هذه الشّغلة ستمنحك بعضًا من السيولة الوقتية لشراء ولو صباحَين فقط في الأسبوع واستخدامهما في ملء ولو صفحة واحدة ببعض الكلمات التي لن تدفعك لشدّ شعرك عذابًا (أو على الأقل ليس بنفس الطريقة أو لنفس الأسباب).

وما يزيد طين الجراحِ المادّيّة بلّةَ المهانة الوجوديّة – هو أنّ الكتابة المفروض عليكِ ترجمتها غالبًا ما تكون من النوع الذي يجعلك تكرهين الكتابة، أشياءَ لا تمتّ بصلة لما تعتبرينه "الوسيط الأقرب إلى قلبك".

/ / /

لقد قلت زبالة وأنا أعني زبالة: أعني ركامًا من النفايات الكلامية لا يتبع ترتيبها أي نظام منطقي أو نَحَوي، أعني أنّه عليّ النبش في بقايا أحشاء اللغة واستخلاص مصارين لانهائية من الجمل الموصولة بلا سبب، من العبارات الوصفية والظرفية التي تتكاثر كالطفيليات، من فقرات بمثابة مقالب زبالة لمعلومات لا تنفع ولا تضرّ، تدبّ فيها الحشرات الحاملة للأمراض المُعدية التي سرعان ما تصيب كتاباتك بإسهالٍ من الأفكار غير المهضومة، وتتركك أحيانًا في حالة من التشويش تجعلك تنسين قواعد

مفردات
Mophradat

النحو الأساسية وتلجئين لغوغل للتأكّد من صحة استخدامك لحرف جرّ معيّن مع هذا الفعل أو ذاك.

وبغضّ النظر عمّا سبق فإن اختيارات الترجمة التي يكون عليكِ القيام بها في تلك النصوص المروّعة لا تقلّ حساسية أو تعقيدًا عن مثيلتها في أفضل النصوص. بل إن فظاعة تلك النصوص تجعل طريقها خطرًا ومفروشًا بالغواية: غواية تغيير ما أمامك لجعله أقلّ بشاعةً وخطر إنتاج شيءٍ أقرب إلى الهجين منه إلى الترجمة، كعملٍ مشترك مع شخص لا ترغبين حقًا في التواطؤ معه. على سبيل المثال، عند ترجمة ردود وزير داخلية ما على تهم انتهاك حقوق المتهمّين واستخدام العنف في انتزاع الاعترافات منهم، يكون من الضروري التزام الأمانة في الحفاظ على الإبهام في الكلام أو "الدَبِل-سْبيك". "تمنع قوانيننا إساءةَ معامَلةِ" -ونلحظ هنا اجتناب الكلمة الأعنف "التنكيل بـ"- "المساجين، ولذلك يستحيل أن نقوم بمثل تلك الممارسات لأنّ قوانيننا تمنعها." ربما يخطر لي حذف التكرار في آخر الجملة، إلّا أن الإصرار الفارغ هذا هو لُبّ ما يتم التعبير عنه هنا. وفي أحيانٍ أخرى أجدني أرغب في إضافة وجهة نظري، مثلًا عندما جاوب وزير آخر على سؤال مؤسسة لحقوق الإنسان بالآتي: "السادة المحترمين، ربما لا يخفى عليكم أن بلادنا دمرتها الحروب والعقوبات في الفترة الأخيرة، ولذلك يؤلمني الاعتراف بأن الوزارة تمثّل السلطة على الورق فقط، إنما على أرض الواقع فإن الميليشيات هي المسؤولة عن تعذيب اللاجئين". أتخيّل موظفًا مرهقًا جالسًا في واحد من تلك المكاتب شحيحة الأثاث، بأرضيّة من البلاط وحيطان يتقشّر دهانها، مكتب معدني وكمبيوتر عتيق، والمدينة تنهار من حوله، وما أرغب في إضافته، لأنه لم يقله، هو: "تفهمون طبعًا، لأنكم تقرؤون الصحف، صح؟ تفهمون طبعًا أنّي حتى وإن كنت أتملّص من واجبي، تفهمون عدم جدوى مجهودكم هذا من أوّله لآخره؟"

/ / /

تلك النصوص مزعجة أكيد، لكنها على الأقل واضحة إلى حدٍّ ما. الحقيقة أن كل مترجم نفايات ينتهي إلى تخصّص معيّن، وأنا تخصّصي هو النص الفني. وهو نوعٌ من الكتابة يمكن أن يُقال عنه إنّه مجاور للكتابة الأدبية، فقط من حيث أن أغلب تلك النصوص ينضح بذلك الاختيال الذي نجده في أسوأ أنواع الأدب الركيك، من حيث التصنّع واستخدام

مفردات
Mophradat

كلمات دون الإلمام بمعناها والتلصّق بالأسماء الرنّانة وانتهاز كل جملة لمحاولة استدراجك لتصديق أن عجزك عن فهم المقصود يعود إلى نقص عندك لا عندهم.

لا شيء يؤكّد خواءَ نصٍّ فنّيّ مثل تشريح قشور الجمل الجوفاء. ترجمتُ مرّةً ثلاثين صفحة من مانيفيستو صاغه فنّان، ومازلت -برغم جميع محاولاتي- غير قادرة على تصوّر مضمون أعماله ولا حتّى تخيّل مظهرها. هل هي فيديو؟ أعمال تنصيبيّة؟ أداء فلوكسس؟ (وأخيرًا اكتشفتُ أنّه منحوتة مصنوعة من أغراض معثور عليها). كان النّصّ مفعمًا بالتكلّف التجريدي لدرجة أنّ العمل الفنّي نفسه غاب عن باله (وهو في الواقع جلّ غاية النّصوص الفنّيّة، كما سأدرِك لاحقًا).

يمكنني وصف مهمّة ترجمة نصوصٍ كهذه بأنّها محاولة مُرهَفة لتحويل هباء في غاية الخفّة إلى جملة حقيقيّة، وذلك مع الحفاظ على فراغ محتواها. هي مهمّة تشبه حمل جلد حيّة من دون معسه أو تَنيِه. يبدو لأوّل وهلة مثل حيّة، فيُبقي على شكل هيكل جسد الحيّة: رأسها وحراشفها وذيلها كلّها في المكان الصحيح وفي الترتيب الصحيح. لكنّها ستنهار تحت ثقل أيّ معاينة مهما كانت بسيطة. فلنأخذ المثال التّالي: "لمعظم أعمالي أسطح متدحرجة ومتموّجة، تحاول بذلك تجريد المادّة من شفافيّتها وتقديمها ضمن شكلٍ بصريّ دراماتيكيّ، هي تهكّم مُغرٍ يتجلّى في نهاية المطاف في صورة أرقام مِدرارة من المسطّحات والأشكال 'غير الإكراهيّة'". أنا متأكّدة أنّني أغمضتُ عينيّ نشوةً بعد إراحة الجملة هذه في ثرى الصفحة. وفي لحظاتٍ كهذه، عندما أتمكّن من حلّ الأمور بصورة جيّدة، أقترب من إقناع نفسي بأنّني حتّى ولو لم أكن مُغرمة بالنّصّ فإنّني على الأقلّ راضية عنه. هو ليس بكلّ ذلك السّوء، وعليّ فقط فهمه بطريقته الخاصّة [الحياة حلوة بسّ نفهمها].

لكنّني أصادف أحيانًا مجازات مشربكة جدًّا لدرجة أنّني بالكاد أستطيع معرفة أين تبدأ وأين تنتهي. فمرّة مثلًا حلّقَت ألوان فنّان في سماوات الخيال بعيدًا عنّي، لتغوص بغتةً عبر أعماق اللّاوَعي، ومن ثمّ، وبدون سابق إنذار، ما كان بها إلّا أن ركبت فرسًا جامحًا إلى ممالك الروح المجهولة. (وهذا وصفٌ كتبه ناقد فنّي شغوف).

/ / /

مفردات
Mophradat

أعمل بالطريقة التالية: أدع أوّلًا الترجمة الخام بأغلبيّتها ترتاح على الصفحة، فأحدّد بذلك المعالم التي سأتحرّك عبرها. وأترك خيارات قليلة مفتوحة لحصرها/اتّخاذ قرار بشأنها/حلّها في القراءة الأخيرة، لعلّه رغبةً منّي لمنح نفسي ولو اليسير من الشعور بالسيطرة/المسؤوليّة/الوهم بأنّني أجدر من غوغل بالوظيفة هذه. أحاول أن أكون على أنجع ما يمكنني أن أكونه في المرحلة هذه، فأبقي اقشعرارات بدني وقلبات عيوني عند الحدّ الأدنى الممكن، وأحاول ألّا أرهق نفسي قبل أن أُجبَرَ أخيرًا على مواجهة جفلةِ ما تناهى إليه النّصّ.

/ / /

وتكثر مصادفاتي في النصوص الفنية لجملة محمّلة بالعثرات، فتضطرّني إلى توجيه بعض الأسئلة إلى كاتب أو كاتبة النّصّ أو -وهو أسوأ الخيارات- إلى التواصل مع قيّمة-ـم العمل الفنّي المُكلَّف. وهؤلاء أي القيّمون والقيّمات على النّصّ يغارون على "رؤية" مؤلّف النّصّ بدرجة غيرة الأخير عليها، بل أحيانًا حتّى أكثر منه، ففي نهاية المطاف إنّهم هم، أي القيّمون والقيّمات على الفنّ، الّذين يحدّدون معايير عدم الوضوح الّتي تحفّزها مؤسّساتهم. وفيما يمجّدون مانيفيستو المؤلّف أو بحثه أو ممالك أحلامه أو أيّ مرادف منمّق يودّون استخدامه لوصف كوم الكلمات هذه الباعثة على الغثيان، لا أتمكّن من تحديد إذا ما كان الوضع أشبه بقصّة ملابس الإمبراطور الجديدة، بحيث يمقت كلّ منّا الإشارة إلى ما هو جليّ وواضح، أو أشبه بقصّة البذور السحرية، وإذا ما كانوا مقتنعين حقًّا بأنّ ما يُتاجَر به هنا مسحورٌ حقًّا. ولذا أجدني مضطرّة إلى توسيع مهاراتي لتشتمل على القدرة على ترجمةِ الاحتقار أو الغضب أو الارتباك أو ثلاثتها معًا إلى تأدُّبٍ مثاليّ. فيتحوّل تساؤلي في رأسي، "ما الّذي تعنيه أصلًا الجملة المنيّكة هذه: 'لا يبرز البيت عن البيت'؟" إلى "مرحبًا، أنا لست أكيدة للغاية من الفارق الدقيق المطروح في الجملة هذه". وأحسّن ما يلي، "يتميّز أساس هيكل أعمالي بالـ'تّقلّب السريع' والـ'الشك المُضاعَف' – عن جدّ؟ بربّك مستحيل أن صياغتك هذه حقيقيّة!" فأستبدلها بـ"مرحبًا، أنا لست أكيدة من أنّ كلمة 'الشّكّ' قادرة على وصف كُنه 'الهياكل' – لعلّنا نجدُ جملة أخرى ملائمة أكثر، جملة لم أتمكّن بعد من العثور عليها؟" ولحسن حظّي وبعكس حال زملائي الذّكور الّذين يعملون في مجال الترجمة، فأنا متمرّسة علّمتني الحياة، مثلما علّمت نساء كثيرات، كيف أكبت انزعاجي المغتاظ

مفردات
Mophradat

وأقدّمه في حلّة جديدة متساذِجة تتظاهر بأنّ المسألة كلّها لا تتعدّى سوء فهمٍ هو خطأي أنا. ["عذرًا، البلبلة منّي مش منّك"].

/ / /

أجد نفسي باستمرار في حيرة أخلاقيّة من أمري: هل أحمل مسؤوليّة الترجمة أم مسؤوليّة اللغة نفسها؟ وهذا في مجمله ليس مسعًى إيثاريًّا، فهو يتضمّن القلق الكامن في أنّ القارئ سيقرّر أنّني أنا مترجمة فاشلة ولن يتخيّل أنّ الكاتب فاشل. فمثلًا، سيستخدم الكاتب نفس الفعل أو التمييز النحوي مرّة بعد الأخرى ضمن الفقرة نفسها، وأحيانًا في نفس الجملة الواحدة. لذا فسيكون على المترجمة إمّا الانطلاق في مهمّة استكشاف المرادفات الموازية وإمّا تقبّل أنّ وظيفتها تكمن في ترجمة الكلمات والإبقاء عليها كما هي والتّصالح مع فكرة أنّه بما أنّ كاتب النّصّ لم يكلّف خاطره بفتح قاموس المترادفات فواللهِ لن تفتحه هي.

لكن حصل أكثر من مرّة أنّني استلمت، بعد تسليم الترجمة، إيمايل غير راضٍ من كاتبٍ يصرّ على أنّ ترجمتي غير دقيقة وأنّني لم أتمكّن من "اختراق شاعريّة" النّصّ وأنّه من غير المعقول أن يكون قد كتب ما أزعم أنا أنّه قد كتبه. وبعد مشاركة إثباتات مفصّلة بخصوص الخيارات التي اتُّخذت، يرضخ أخيرًا أكثر من كاتب لأمر الواقع بأنّ الإنجليزيّة هي فعلًا لغة ناشفة وكوربوراتيّة وغير قادرة على احتواء فكرانيّة الفرنسيّة اللعوبة أو طنّانيّة العربيّة. وأحيانًا أرغب برمي ردٍّ سريع، هو أنّ الكتابة السّيّئة ستبدو بمستوى التّعفّن هذا ما إن تُكتَب بأيّ لغةٍ كانت.

/ / /

سيكون عملي هذا أسهل بكثير لو تمكّنت من القيام به متجرّدةً من المشاعر. لكن في وجه وقاحة الكتابة السيّئة أشعر بردّ فعل أيّ شخص تقليدي مُجبَر على مواجهة أيّ مخالفة صريحة للأعراف التي اعتاد استخدامها لتعريف حياته وتحكيمها. السّخط. سخط مجعجعٌ مطسّطس مثل سخط رجل أبيض كهل بوجهٍ قابل للاحمرار، تلك النّار التي يدّخرها المرء ويغذّيها لصدّ ذئاب الغيرة المزمجرة عنه. "كيف يجرؤون؟"، أتساءل. "كيف يجرؤون!" – لكنّني أنا نفسي لا أجرؤ على متابعة خيط الفكرة. "كيف يتجرّؤون على منح أنفسهم حرّيّة الكتابة وسلطتها في الوقت الذي كنت أردع فيه

مفردات
Mophradat

نفسي كلّ هذه السنوات، فأدع كتاباتي تُولد بالتّقطير، مرعوبةً من كونها ناقصة أو من استتارة نفس الاحتقار الذي أشعر به عند قراءة نصّ كهذا؟"

لكنّ السخط ذاك هو الترجمة الأريَح للإحساس بالعجز الّذي غالبًا ما يُشعرني به نوع العمل هذا. العجز عن تملّك وقتي الخاصّ، والذي لا يمكنني أبدًا استعادة ما يكفي منه؛ العجز أمام وضعي الاقتصادي، والذي يحافظ على استقرار فداحته، والعجز المرتبط بكوني سنًّا آخر في الماكينة الاقتصاديّة العظيمة هذه، تزيّنها الكلمات التي تدرّ بكثيرٍ من الأموال لكثيرٍ من الأشخاص في مكانٍ ما ولكنّها في النهاية تمكّن اللّاشيء. كلّ ذلك التمويل المصبوب في مختلف المؤسسات والتينك-تانكس لإصدار تقارير مُعقَّمة، كلّ تلك الكلمات المستخدمة لزيادة حجم أوهَن الأعمال الفنّيّة فتحاول منحَها فرصة التنافس في كولوسيوم من سوق الفنّ، هو في الوقت ذاته وحشيّ ويُوَحِّش.

لأنّني عندما أقول زبالة، أعنيها، زبالة. أعني محضَ هدرٍ للكلمات، كثيرًا من التقارير، كثيرًا من المعلومات، كثيرًا من النصوص الّتي تُخلَق لتُجتَرّ لاحقًا بلغة أخرى، لتتعفَّن وحسب، جالسةً على سطح مكتبٍ ما في مكانٍ ما كما أتخيّل، أو لتسودَّ معلّقةً على حائط غاليري ما. أفضل ما يمكنني قوله عن عمليّة الغوص في كومة نفايات اللغة إنّها غالبًا ما تكون عمليّة إيضاحية، تشبه الإطلالة على حياة جارك لدى التفتيش في نفاياته، هي لمحة تساعدك على فهم أسلوب حياته. لقد تعلّمت مثلًا أنّ أكثر المؤسسات ضخامةً وأموالًا هي تلك التي ستصرّ على المساومة على بضعة قروشٍ شحيحة. (اتّصل بي مؤخّرًا شخصٌ من مكتب المقتنيات التابع لأهم جامعة خاصّة في البلد، بعد استلام إيمايلي، ليسأل بنبرة متملّقة، "ألا يمكنك مسايرتنا بتخفيض خاصّ لنا فقط؟" وكأنّ الجامعة عائلة معدَمة تطلب اليسير من المعونة لتتدبّر أمورها حتّى استلام راتب الشهر المقبل). وتعلّمتُ أنّه نادرًا ما ستأخذ المنظّمات غير الحكوميّة الدولية -عند الحشد لتأمين الغوث والمعونة في أوقات الأزمة- بعين الاعتبار طلبات المنظّمات التي تعمل محلّيًّا لاكتشاف نوع الغوث والمعونة الدقيقة المطلوب فعلًا (وذلك على الرغم من الرسائل المترجَمة المتتابعة الّتي تُرسَل لتفصيل ذلك بالضبط). وأنّ التينك-تانكس ستوظّف أكثر الأبارتشيكيين فسادًا ونفاذًا لكتابة التقارير عن الفساد والمحسوبيّة. وأنّ بعض الكتّاب والكاتبات الذين يودّون إثبات صحّة كلامهم بأيّ طريقةٍ كانت سيخترعون اقتباسات برمّتها وينسبونها لمختلف الأشخاص المشاهير، فيكون عليك

مفردات
Mophradat

قراءة نصوص كاملة لكازيمير ماليڤيتش (بعد إمضاء الساعات في تقفّي أثر ترجمات مجانيّة بالإنجليزيّة لنصوصه)، فتدركين أنّه [أي كازيمير] على الأغلب لم يقل أبدًا إنّه "يتوق إلى المنفى من البحر" (لكن تكتشفين على سبيل المفارقة أنّ ما قاله حقًّا هو إنّ "النزعة إلى الجماليات هي زبالة الحدس"). وتعلّمتُ أنّ بعض الفنانين، المجبَرين على استخدام لغة لا يفهمونها بالكامل، غالبًا ما سيقتطعون عملًا أو يسيئون تمثيله أو يثقلون كاهله، عملًا كان من الأفضل تركه بحاله، أو على العكس فيثقلون عملًا آخر بخطابٍ يُوظّف ليتعكّز العمل عليه، لأنّه سيكون معدوم الوجود لولا الخطاب ذاك. وتعلّمت أنّ الفنانين المحلّيّين سيُشجَّعون باستمرار على تسليط ضوء ساطع على "غيْريّتهم"، مهما كانت، للنعيق بها من أسطح المباني على أمل أن يكون صوتها أعلى من النشاز، فيُظهرون "غيريّتهم" تلك بصورة إكزوتيكيّة/ويركّزون عليها. تعلّمت كذلك أنّ كثيرًا من الفنانين (والأجانب منهم بالأخصّ) -ربّما في سعيهم إلى تبرير إضفاء الجماليات على الفقر والحرب والنزوح وتجارب أخرى لم يتمعّنوا فيها كفايةً بصورة شاملة- غالبًا ما سيحاضرون عن فكرة فخمة لها هدف أخلاقي أسمى. لقد تعلّمتُ أن أرتاب في أيّ عمل فنّي يتظاهر بحمل هدفٍ أخلاقي مهما كان. وتعلّمت كذلك أنّ ارتباط الهدف الأخلاقي بالفنّ يشبه ارتباط البيض بالكعكة المخبوزة. فإن تمكّنت من تذوّق البيض أو اشتمامه فيها أو رؤيته مفتفتًا ناتئًا في اسفنجة الكعكة فستكون الأخيرة فاشلة، ولن يكون أكلُها متعةً بل عقابًا.

/ / /

والأهمّ هو الدّرس الأشمل الّذي تعلّمته، والذي يصعب اختصاره. وهو أنّه بغضّ النظر عن اللغة التي أترجم عنها، سواء كانت العربيّة أم الفرنسيّة، ثمّة نوعٌ أو أسلوب لغوي واحد ووحيد يُوظَّف ليمتثل حتمًا إلى حذافير اللغة الخاصّة بالصنف الذي ينتسب النّصّ إليه. فتصدر البيانات البيروقراطية المتضاربة عن هيئات رسميّة. هي جملٌ متجرّدة من المشاعر تغصّ بالرطانة المؤسسيّة التي ينطقها الباحثون، فتتبعها التوصيات الجوفاء المحافِظة التي تُلقى بنفس النبرة المتفائلة المتمنّعة. وتُصاغ الفقرات المتعاوِضة من نوع «املأ الفراغ» في البيانات الصحفية الخاصة بانتهاكات حقوق الإنسان. وهنالك الأهداف النبيلة التي تطلقها المؤسسات كبيرةً كانت أم صغيرة والتي

مفردات
Mophradat

سوف "تسعى" حتمًا و"تحاول" و"تنوي" الأشياء نفسها. هي أشبه بمسابقات الكلمات التلفزيونيّة المسعورة، لكنها حاصلة في حلبة النصوص الفنيّة.

تكثر النزعات والموضات المؤسّسيّة. فتملي كلّ مؤسّسة (ثقافية أو أكاديمية أو غيرها، وبوعي أو بغيره) التسميات التي يمكن تناوُل المواضيع عبرَها (الأرشيف؛ الذاكرة؛ القصور الحراري؛ المنفى؛ المتخيّل) ومصادر الأفعال التي يجوز استخدامها لمعاينتها (المواجهة؛ المجادلة؛ صنع التأثير؛ التأجيج؛ التعطيل؛ الإبهام) والمسائل الجديرة بالتفحّص أساسًا (لنُقفل موضوع سوريا/المهاجرين/ما بعد الكولونيالية، فقد حان الوقت للحديث عن التغيّر المناخي/الرأسمالية المتأخّرة/الصدمة النفسيّة). وهنا يُولَد اليأس. فهو لا يولد عند قراءتك لفحوى النزعات المؤسسية فحسب، إنّما عند إدراكك لطريقة عملها. يولد اليأس عند إدراكك لسرعة الضوء التي تتحرّك بها تلك النزعات واتّساق ظهورها واختفائها. وينمو اليأس عند إدراكك بأنّه حتّى الصياغات التي تبدو جديرةً بالقول هنا ستتلاشى في ضوضاء الكلمات المُكرَّرة، أو الأفكار المُكرّرة، أو الاستنتاجات المُكرَّرة.

إن ابتدأت بملاحظة النزعات ستأخذين برؤيتها في كلّ مكان: في بيت من الشعر وفي المقالات، في أصوات القصص والروايات، في لحنِ جدالاتنا، سواء أجريناها عبر الإنترنت أم وجهًا لوجه، في القصص والنصوص والقصائد والنقاشات التي تتجلّى أمامنا ونُسيَّر نحو قراءتها. من الصعب ألّا نفكّر في أنّ تدفّقات العملة (المال؛ الانتباه؛ رأس المال الثقافي) هي ما يوجّه سيول وعينا؛ وما يصعب علينا أكثر من ذلك هو مقاومةُ انسحابنا مع التيار الجبّار والخفيّ.

كيف لي أن أعرف حتّى إذا ما كنت أحكي بصوتي الخاصّ أو إذا ما كنت ببغاء، أتكلّم من الباطن لحساب الثقافة الأحاديّة؟ لماذا أريد أن أكتب في المقام الأوّل؟ من أين ينبع الطموح المبهرَج أو المُنبَّل هذا؟ ولكن ما مِن جواب ولا مَن يحزنون؛ لا تبقى إلّا الأسئلة، ولعلّ ذلك هو الأهمّ. لعلّه يجدر التذكّر أنّ إحدى السبل لإيجاد الهدف أو العزاء أو استقاء أيّ معنى من أيّ فعل أو أيّ عمل هو إيجاد طريقة للاستمتاع به، بغضّ النظر عن صغره. في كتاباتي، وفي كتابات الأخريات والآخرين، يُترجَم ذلك إلى المتعة الصادرة عمّا لا تُمكن معرفته، عن ائتمانك على أسئلة تكون هي بنفسها أجوبة. تُكثّف الكتابة السيّئة المتعة التي أستخلصُها من الكتابة الجيّدة. فتجعل تمييز الكتابة الجيّدة أسهل، لأنّني أحظى بفرص متواصلة لتشذيب تعريفي الخاصّ عمّا لا يمكن أن تكونَه الكتابة

مفردات
Mophradat

الجيّدة. هي متعة متواضعة وبسيطة وشخصيّة. وأهمّ من كلّ هذا، هي متعة ذاتيّة، لاموضوعيّة. ولذلك أشعر أنّها متعة فرديّة مستقلّة وجماعانيّة في نفس الوقت.

/ / /

أما عن المتعة التي يمكن استخلاصها من ترجمة الزبالة فهي متعة من النوع الرخيص. على فنجان قهوة مع صديقٍ ذات مرّة حاولتُ وصف إحساس الاشتغال بشيء تحبّينه من حيث المبدأ لكن غالبًا ما يستحيل أن تحبّيه في لحظة عمله. حدّثتُه عن إحساس الحميمية مع نصٍّ لا تشعرين بشيء نحوَه سوى الاحتقار، لكن ومع ذلك تجدينه قد تسلّل إلى جلدك، لتلاحقك ومضاته طوال اليوم حتى بعد أن تتركيه وتمضي.

فسألَ صديقي: يعني الأمر مثل نيكة عداوة؟

قلت: بالضبط! مثل نيكة عداوة.

من المتعارف عليه أن متعة النيك مع من نكرههم أو نعاديهم تكمن في حرارة العاطفة التي يؤجّجها لهيب الكراهية. يضفي الاشمئزاز والمقت شيئًا من المجون، والمعنى، على لقاءٍ لا معنى له. فتستمدّين القوة من الشعور بأنه يمكنك ببساطة أخذ ما تحتاجينه من كلّ ذلك والمُضيّ في سبيلك لتُمضي ما تملكين من الوقت بفعل ما تريدين.

إلا أنّه لا شيء يعادل متعة التّزبيل مع الأصدقاء عن نيكة العداوة وتحقير الشّريك ذاك بكل سلاسة، كما لو أنّه لا يسيطر على حياتك، كما لو كنتِ قادرة على هجره وقتما تريدين، كما لو لم تكن فكرة تخلّيه عنك لا تُجنّنك قلقًا طوال الوقت، كما لو كنت حرّة للرّدّ عليه بأي شيء غير "إيه، أكيد، حالًا، اللي بدّك ايّاه" عندما يتّصل بك المرة القادمة.

/ / /

نُشر هذا النص بالإنجليزية في «ذا باريس ريفيو» في صيف عام ٢٠١٩.

لينا منذر كاتبة ومترجمة لبنانيّة.

مفردات
Mophradat